

مقاربة سوسيولوجية للثقافة والتربية (بين الحداثة والأصالة)

الأستاذ حميد حملاوي

قسم علم الاجتماع - جامعة 08 ماي 1945 - قالمة

Hamid.hamlaoui@yahoo.fr

مقدمة:

تعد الثقافة من المفاهيم الأساسية التي تناولها علماء الانثربولوجيا و الاجتماع و التربية، في دراساتهم و أبحاثهم و ربطها بمفهوم التربية ، لما للمفهومين من تفاعل و تشابك من حيث الشبكة العلائقية التي تتم بين الأنساق الاجتماعية و الثقافية و المؤسساتية و الأجيال.

1. مفهوم الثقافة :

عرفها "تايلور " Taylor " بأنها " ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون ، و الأخلاق ، و القوانين ، و العادات ، و أي قدرات و خصال يكتسبها الإنسان نتيجة لوجوده كعضو في المجتمع " ¹.

و عرفها " لينتون " Linton " بأنها " تنظيم للسلوك المكتسب و لنتائج ذلك السلوك ، يشترك في مكوناتها الجزئية أفراد مجتمع معين، و تنتقل عن طريق هؤلاء الأفراد " ².

و يحتاج هذا التعريف إلى بعض التوضيح ، فعبارة " تنظيم السلوك المكتسب " تعني وجود نمط معين و النمط هو أسلوب السلوك المرتبط بحاجة أو وظيفة في الحياة الاجتماعية ، فطريقة تربية الأطفال في مجتمع ما مثلا تسير وفقا لنمط معين ، أما عبارة " السلوك المكتسب " فقد وضعها " لينتون " للتمييز بينها و بين الدوافع الفطرية أو أي سمات أخرى موروثة .

كما أن التعريف يتضمن الإشارة إلى نتائج السلوك ، و إلى حاجة الأفراد إلى المشاركة في عناصر الثقافة و قيامهم بنقلها .

أما " لسلي وايت " Leslie A. white " فقد عرف الثقافة بأنها " تنظيم لأنماط السلوك ، و الأدوات (الآلات و الأشياء التي تعملها الآلات) و الأفكار (المعتقدات والمعارف) و المشاعر (الاتجاهات و القيم) التي تعتمد على استخدام الرموز .

- وهيب إبراهيم سمعان ، الثقافة و التربية في العصور القديمة ، دار المعارف بمصر ، 1961 ، ص 13 .

- المرجع نفسه ، ص 14 .

فالثقافة بدأت ، كما يقول " حينما أخذ الإنسان كحيوان متقدم ناطق يستخدم الرموز ، و بسبب هذه السمة الرمزية تنتقل الثقافة بسهولة و بسرعة من كائن إنساني إلى كائن إنساني آخر " .

و بهذه الطريقة تصبح الثقافة كلا مستمرا ناميا يكتسب عناصر جديدة ، و في عملية النقل هذه تضيع بعض عناصر الثقافة ، و يتغير بعضها الآخر ، و تضاف إليها عناصر جديدة ، و لكن الثقافة نفسها تستمر و لذلك يقول وايت " إن الثقافة عملية رمزية ، مستمرة ، تراكمية ، و تقديمية " ¹.

و لعنا نستطيع أن نستنتج من هذه التعاريف أن الثقافة ليست أمرا خاصا بطبقة معينة من الناس أو مجموعة مختارة منهم ، و إنها لا تعني فقط تلك المظاهر من السلوك الإنساني التي تشير إلى الذوق و التهذيب و الاهتمام بنوع ما من الفنون ، بل هي مفهوم يعني " أسلوب الحياة لمجتمع ما ، ذو بعد زمني ينتقل من جيل إلى جيل ، و يتعرض للتغيير المستمر بدرجات متفاوتة من مجتمع إلى آخر ومن عنصر إلى آخر .

و هي بهذا المفهوم تشمل كل القيم و النظم المادية و الاجتماعية لأي جماعة من الناس ، برابرة كانوا أو متمدنين ، فتشمل قيمهم و نظمهم السياسية ، و الاقتصادية ، و الاجتماعية ، و الدينية ، و الفكرية كما تشمل عاداتهم و اتجاهاتهم ، و آدابهم وفنونهم و الكيفية التي يمارسون بها وجوه نشاطهم المختلفة ، و هي تنتقل من جيل إلى جيل ، و من جماعة إلى جماعة عن طريق الرموز (اللغة).

و قد يزداد مفهومنا للثقافة وضوحا حينما نحلل عناصرها و نشير إلى أهم ما يميز طبيعتها و عملياتها.

II- عناصر الثقافة :

يقسم البعض عناصر الثقافة إلى نوعين :

أ- عناصر مادية: تتضمن العناصر للثقافة كل ما ينتجه الإنسان و يمكن اختباره بواسطة الحواس.

ب- عناصر غير مادية: و تتضمن الأعراف، الأساليب الفنية، و قواعد السلوك ، الأخلاق والقيم و العادات و التقاليد و كل العناصر السيكولوجية التي تنتج عن الحياة الاجتماعية ².

● المحافظة على ثقافة المجتمع :

كي يبقى المجتمع و يستمر يلزم له أن ينقل ثقافته الحالية إلى الأجيال اللاحقة حتى يقوم هؤلاء بدورهم عن طريق المدرسة بنقلها لغيرهم ، و

- نجيب اسكندر إبراهيم ، لويس كامل مليكه ، رشدي فام منصور : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي ، القاهرة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، 1976 ، ص 172.

² WHITE LESLIE A. k « CULTUROLOGICAL VS PSYCHOLOGICAL INTERPRETATION OF HUMAN BEHAVIOR » AMERICAN SOCIOLOGICAL REVIEWk ; I 2 : 686 -698.

يحتاج المحافظة على الثقافة ونموها عنصر الاستمرار المنظم لأنها نسيج معقد من العلاقات الاجتماعية التي توارثت بين الأجيال¹.

● تنقية الثقافة و تجديدها :

فالثقافة في أي مجتمع قد تتضمن عناصر غير مرغوب فيها أي سلوك غير طبيعي خارج عن القيم الأخلاقية و العادات و التقاليد و الأعراف المتعارف عليها في المجتمع ، مثل هذا السلوك لا يرى المجتمع بقاءه و استمراره ، و تصبح المدرسة مسؤولة عن ذلك، كما ان عليها أيضا أن تعمل على تعريف بعناصر ثقافة أخرى كاحترام الآخر و التفكير العلمي و أساليب الإنتاج الجديدة كي تتجدد الثقافة فيتطور المجتمع .

● خلق تجانس في الثقافة و تبسيطها :

فالمدرسة مسؤولة عن تفاعل و مزج الثقافات المتباينة التي يصل بها المتعلمون إليها والتي قد تصل في بعض الأحيان إلى التنافر بحيث تتجانس عناصرها و يشترك فيها غالبيتهم ، كما انه من واجبات المدرسة تبسيط الثقافة التي اتخذت شكلا شديدا التعقيد خصوصا في المجتمعات المتقدمة ، إذ أصبح من المتعذر على الطفل الإلمام بها و إدراكها و فهمها إلا بطرق و وسائل تعليمية تمكنه من ذلك.

● التماسك الاجتماعي:

كي يصبح الفرد عضوا في المجتمع و يعيش فيه و يتكيف معه عليه أن يشارك الأعضاء الآخرين ثقافتهم ، و المدرسة الناجحة هي التي تحقق هذه المشاركة بكافة الطرق ، و تحقيق المشاركة معناه " ربط الأفراد ببعضهم و تماسكهم و تعاونهم لخدمة مجتمعهم"².

إن العناصر الثقافية ، مادية كانت أو غير مادية ، هي منتجات لنشاط الإنسان ، فلا يمكن لفرد أن يزعم أن السيارة قد جاءت من ذهن قوة غير طبيعية ، فهي نتاج سلسلة طويلة من المخترعين الإنسانيين ، أضاف كل منهم شيئا إلى ما سبق اختراعه .

و هكذا الحال بالنسبة إلى معظم الأشياء المادية في مجتمعنا ، فالإنسان دون شك هو مؤلف أو صانع هذه الأشياء ، و هو الذي صنع بيديه و عقله كل المنتجات المادية و ابتكر وسائل استخدامها على مر العصور ، و ما السيارة الحديثة أو الطائرة ، أو الراديو ، أو المصنع الحديث إلى نتائج محسوسة لعمليات طويلة قام بها الإنسان ، كذلك الحال بالنسبة للعناصر

- احمد كمال احمد و آخرون ، الخدمة الاجتماعية في المجالات التعليمية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1965 ، ص 13.

- فاطمة مصطفى الحاروني، خدمة الفرد في محيط الخدمات الاجتماعية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1975 ، ص 54.

غير المادية للثقافة مثل العادات و الخصال ، و المحرمات ، و المحظورات ، و كل القوانين و السنن الاجتماعية و الأخلاقية ، فهي عناصر صنعها الإنسان مثل ما صنع الأجزاء المكونة للسيارة ، و نشأت و تراكمت بمرور الزمن و على ذلك يمكننا أن نؤكد الأصل الإنساني للثقافة و أن نقول أن الإنسان يصنع ثقافته بعقله و يديه.

III- مميزات الثقافة :

للثقافة مميزات خاصة تجعل منها ظاهرة فريدة و يمكننا أن نوضح أهم مميزاتها فيما يلي :

أ. الصفة التعليمية للثقافة :

الثقافة سلوك متعلم ، لا يوجد في الجهاز البيولوجي للإنسان ، و هي تتخذ شكل عادات جماعية تكتسب اجتماعيا ، يتعلمها الفرد مولده و في أثناء عملية التنشئة الاجتماعية . و في هذا الإطار اتخذت العديد من الدراسات دور المدرسة في نقل المعارف ، التراث ، الثقافة و التنشئة الاجتماعية حسب مقتضيات الواقع المعاش و البيئة العالمية المتغيرة باستمرار ، و من ناحية أخرى نجد دراسات أخرى تعطي وزنا أكثر للجانب النفسي و النمو السليم لشخصية الفرد ، و يتعلق الأمر هنا بدراسة العلاقات بين ما هو نفسي و ما هو نفسي ثقافي على مستوى الشخصية .

فالواقع الذاتي للفرد يتشكل بصفة واسعة في الوقت الذي ينسجم مع الواقع الموضوعي لعالم الثقافة ، و الواقع النفسي للفرد يتحقق أيضا بصفة ذاتية على ما عرفته الثقافة بصفة موضوعية على أنه واقع ، و هكذا يصبح الاستبطان مرجع المعارف الاجتماعية لأننا نتكون من كل ما أودعته الثقافة فينا خلال مرحلة الإشراف ، كما لا يمكن فصل التجارب الشخصية عن الثقافة المحيطة ، و الخاصة بكل مجتمع ، و إذا قلنا هذا التقارب بين منظوري علم النفس الاجتماعي و السوسيولوجيا المعرفية على ما قدمه التحليل النفسي و الثقافي ، و نشير إلى العلاقة الجدلية التي عن طريقها تولد الثقافة واقعا نفسيا ذاتيا يتحول بدوره إلى واقع ثقافي موضوعي ، و هكذا يكون الفرد في الحالتين قد استبطن الحوادث الخارجية لتصبح جزءا من شعوره الشخصي و بإسقاطها من جديد ، فإنه يحولها إلى واقع ثقافي موضوعي¹.

فالفرد لا يتعلم الأعمال فحسب ، بل يتعلم الأفكار و المشاعر أيضا ، كالشعور بالتقدير و إتباع الطقوس الدينية ، و السلوكيات السوية و القيم الأخلاقية ، و مستويات ثقافتنا لما هو طيب و جميل ، صواب و خطأ ، و يتعلم الطفل هذا السلوك الثقافي في سنواته القليلة الأولى ، و قد لا يتم

- دوني سزابو و آخرون " المراهق و المجتمع " دراسة مقارنة ، ترجمة الطاهر عيسى و
الأزهر بوغوموز ، د.م.ج ، الجزائر ، 1994 ، ص 81 .

الرابعة و الخامسة إلا و يكون قد طبع بوسائل العمل و التفكير و الشعور السائدة في ثقافته .

و إذا حدث أن ربينا طفلا انجليزيا في بيئة عربية ، و ربينا طفلا عربيا في بيئة انجليزية ، لوجدنا أن كلا منهما يعكس الثقافة التي ربي فيها و ليس ثقافة والديه ، و أن كل ما يحمله الطفل الانجليزي من طابع انجليزي (الملامح الأوروبية) ، أما طريقة جلوسه و مشيه ، و لغته ، و اتجاهاته ، وما يحبه و ما يكرهه فلن تكون إلا عربية خالصة ، و لعنا نتبين الأثر القوي للثقافة إذا ربينا توأمين في ثقافتين مختلفتين فان كلا منهما في هذه الحالة يعكس الثقافة التي ربي فيها ¹.

ب. الثقافة ظاهرة خاصة بالإنسان :

يعيش الإنسان و كثير من أنواع الحيوانات و الحشرات في مجتمعا، و لكن الثقافة وقف على الإنسان وحده ، فالحيوانات مثلا، الذئاب تنظم نفسها في شكل أسراب أو قطيع، أي مجتمعات حيوانية و تتميز بتقسيم العمل بين أفرادها و وجود نظام لحماية أعضائها من الأخطار الخارجية، و لكنها غير ذات ثقافة، كذلك النحل و النمل أمثلة معروفة لمجتمعات الحشرات و هي مقسمة إلى طبقات مختلفة لتستطيع أداء وظائفها المتنوعة ، فالملكة و ذكور النحل على سبيل المثال، تنتج الأجيال الجديدة من النحل و الشغالة تقوم ببناء الخلايا و جمع الرحيق ، و هناك من النحل من يقوم بحراسة أعضاء الجماعة ضد هجوم الحشرات الأخرى، و هكذا، ولكن النحل لا يتعلم لكي يؤدي هذه الوظائف المختلفة، بل يولد بغرائز أو دوافع، و هي أنماط فطرية من النشاط أو استجابات أو أوتوماتيكية لمثيرات، و الجيل من النحل مثلما ستعيش الأجيال السابقة من النحل و مثلما ستعيش الأجيال اللاحقة .

أما الإنسان من ناحية أخرى فلا حول له عند ولادته، و استعداداته للعيش في جماعات يفرض عليه نتيجة لعجزه هذا.

و لا يولد الإنسان و لديه أنماط فطرية محددة من النشاط ، بل يولد و لديه فقط بعض الانعكاسات المتصلة بحاجاته العضوية ، و هو بالإضافة إلى هذا يمكن تكيفه ، و عليه أن يتعلم التكيف مع البيئة الخارجية ، و أن يؤدي وظائف معينة في التنظيم الاجتماعي ، و نظرا لان الإنسان يتعلم التكيف ، نجد أن تكيفه لا يكون كاملا تماما مثل تكيف النحل مثلا ، كما انه لا يكون تكيفا جامدا أو محدودا ، و لذلك يمكنه أن يعيد تكيفه إذا ما تغيرت الظروف ، و لا تنمو الاستعدادات البيولوجية للثقافة عند الإنسان إلا إذا ولد و تربى في وسط جماعة إنسانية عاملة ، فإذا لم يولد في مثل تلك الجماعة، فان تلك الاستعدادات لا تنمو .

¹ - Newman , Horatio H , Multiple Human Births (New York) , pp . 189 - 199 .

و يرى " كنجسلي ديقز " "KINGSLEY DAVIS" " أن الشخص الذي لا يتصل بالكاننات الإنسانية لا يمكنه بعد سن العاشرة أو الخامسة عشر أن يحصل على طبيعة إنسانية كاملة إذا ما القينا به بين كائنات إنسانية¹.

ج- الصفة الناقلة للثقافة :

لا تعلم الثقافة فحسب ، بل تنتقل من إنسان إلى إنسان و من جيل إلى جيل، والحيوانات قادرة على كثير من التعلم ، و لكن ثمار تعلمها لا يمكن نقله بالرموز مثلما تنتقل ثقافة الإنسان ، و تعني هذه الصفة من صفات الثقافة أن الإنسان يستطيع أن يبني فوق ما بنته الأجيال السابقة و انه ليس مجبرا على البدء من جديد مع كل جيل جديد.

و الوسيلة الرئيسية للنقل الثقافي هي اللغة التي أطلق عليها " القانون أو الدستور الأساسي للإنسانية" و هي من أهم عناصر الثقافة التي يتعلمها الطفل، و المفتاح الأول الذي يحصل من طريقه على كثير من تلك العناصر، و هي الوسيلة الرئيسية التي تجعل من الممكن نقل الأفكار بسهولة و دقة نسبية بين أفراد مجتمع ما، و التي تساعدهم على نقل خبراتهم الماضية و حفظها، و كل لغة من اللغات نتيجة للخبرات العامة لأفراد جماعة ما، و هي لهذا تعكس تاريخهم و ميولهم إلى درجة كبيرة².

د. الصفة الاجتماعية للثقافة:

تنشأ الثقافة و تتطور عن طريق الاتصال الإنساني بين الأفراد و الجماعات و تتكون الثقافة من مجموعة الاتصالات هذه و من النتائج المادية لها ، و هي على هذا الأساس ليست أمرا فطريا أو غريزيا أو شيئا يكتسب نتيجة للوراثة البيولوجية ، بل يتعلمها كل فرد نتيجة لخبراته بعد مولده في جماعة إنسانية ، أو بمعنى آخر ، تعد الثقافة نتيجة لخبرات الجماعة و سلوكا يشترك فيه أعضاؤها بعضهم مع بعض.

ه. الصفة المثالية للثقافة : يقول "مردوك" " إن العادات الجماعية التي تتكون منها الثقافة تصور إلى حد كبير كمعايير أو أنماط مثالية للسلوك "

3

يعني هذا أن أعضاء الجماعة ينظرون إلى الثقافة كنمط مثالي من أنماط السلوك يفترض فيهم أن يسيروا و فقه ، و يجب علينا أن لا نفهم أن هذه المثالية مثالية عامة بل لكل ثقافة مثلها المستمدة من أوضاعها الاجتماعية .

و. طبيعة الانتشار الثقافي:

يطلق على انتقال العناصر الثقافية من فرد إلى فرد أو من مجتمع إلى آخر عبارة " الانتشار الثقافي " و هناك نوعان من الانتشار الثقافي :

- نجيب اسكندر إبراهيم ، و آخرون ، مرجع سابق ، ص 19. 1

- المرجع نفسه ، ص 19. 2

- المرجع نفسه ، ص 20. 3

1. انتشار ثقافي داخل المجتمع نفسه INTRO SOCIETY.
 2. انتشار ثقافي بين المجتمعات INTER SOCIETY .
و بوجه عام يتأثر الانتشار الثقافي داخل المجتمع نفسه بالعوامل الآتية:
 - الاعتراف بفائدة العنصر الثقافي الجديد أو بالحاجة إليه .
 - وجود أو عدم وجود عناصر في الثقافة يمكن أن تسد الحاجة التي قد يسدها العنصر الثقافي الجديد ، يؤثر في رفض أو قبول ذلك العنصر .
 - وجود عناصر في الثقافة تتعارض وظيفتها مع وظيفة العنصر الثقافي الجديد يعوق انتشار ذلك العنصر بل قد يمنعه.
 - قد يساعد المركز الاجتماعي لمن يدخل عنصرا ثقافيا جديدا الإسراع بقبول ذلك العنصر.
- إن الانتشار الثقافي بين المجتمعات فهو ذو أهمية بالغة و ليس أدل على أهمية من أن " لينتون" يقول "بان 90% من العناصر الثقافية في أمريكا قد نشأ في بلاد أخرى غير أمريكا ، و انه انتقل إليها على ممر العصور " ¹.
- و تلعب العوامل الآتية دورا هاما في انتشار العناصر الثقافية بين المجتمعات:
- ❖ الاتصال بين الثقافات أمر أساسي لانتشار العناصر الثقافية من مجتمع إلى آخر ، والثقافات البسيطة هي ثقافات الشعوب المنعزلة، و لا شك أن سهولة الاتصال بين المجتمعات تسهل عملية الانتشار الثقافي و التشابه بين الثقافات .
 - ❖ يسهل انتشار العناصر المادية عن العناصر غير المادية، فيسهل مثلا انتشار آلة من الآلات عن انتشار التقاليد و الفلسفات و النظريات العلمية.
 - ❖ الإحساس بالحاجة إلى العنصر الثقافي الجديد أو بفائدته.
 - ❖ وجود أو عدم وجود العناصر المنافسة للعنصر الثقافي الجديد .
- و هناك عوامل متعددة أخرى تساعد على نقل عناصر الثقافة بين المجتمعات المختلفة منها ، التجارة ، الحروب ، تبادل الأزواج ، وسائل الإعلام ، البعثات العلمية ، السفر ، الملتقيات العلمية و الفكرية ...الخ.
- و هناك عامل مهم تجدر الإشارة إليه فيما يتعلق بتضمين العنصر الجديد في الثقافة والنتائج الاشتقاقية لذلك العنصر ، و هي تلك النتائج التي لا تتصل اتصالا مباشرا باستخدام العنصر الجديد بل تشتق منه ، فاختراع آلة ما يسبب تغيرات سلوكية مباشرة في المجال الذي تستخدم فيه هذه الآلة ، و لكن هذه التغيرات تنتج تغيرات أخرى في نواحي أخرى من الثقافة ².

1 - المرجع نفسه ، ص 33.

2 - المرجع نفسه ، ص 37.38.

و يمكننا أن نوضح اثر الاختراع على الثقافة بما حدث في الحياة العالمية نتيجة لاستخدام السيارات في النقل في الطرق في السنوات الأولى من القرن العشرين، و كثيرا من التغيرات كانت اشتقاقية أكثر منها مباشرة :

1. الأسرة :

- أنماط جديدة من الترويح .
- تنظيم جديد لميزانية الأسرة .
- أصبح امتلاك السيارة رمزا للمكانة الاجتماعية .
- مشكلات سلوكية للشباب.

2. التنظيم الاقتصادي :

- أعمال و صناعات جديدة.
- ظهور مشكلة النقل بالسكك الحديدية أمام مشكلة النقل بالسيارات .
- التأمين
- إنشاء استراحات في الطرق التي تمر بها السيارات .

3. الحكومة و السياسة :

- ضرائب إضافية .
- أعباء على النظام العمومي.
- قوانين جديدة و محاكم (العدالة).
- مصروفات على الطرق و مستشفيات .
- اتساع المدن المتزايد.

4. الدين :

- قيم مادية جديدة .
- علاقات جديدة بين دور العبادات و المنطقة التي تعمل بها.

5. التربية :

- المدارس و المؤسسات التعليمية ككل.
- أنواع جديدة من المدارس الفنية و دور الشباب و الثقافة .

6. الترويح :

- الخروج للنزهة في أيام العطل .
- انتشار الحدايق العامة .
- إنشاء فنادق في الطرق العامة .
- إنشاء شواطئ عامة (قضاء العطل).

و هكذا تغيرت كل نواحي الثقافة العالمية تقريبا منذ أخذت السيارة في الانتشار، باعتبار أن الثورة الصناعية التي عرفها العالم ساهمت بشكل كبير في تطوير و تقدم المجتمعات و أثرت تأثيرا ايجابيا على جميع القطاعات الاجتماعية ، الاقتصادية ، الثقافية ... الخ.

ساهم نقل التكنولوجيا في تطوير هذه المجتمعات مساهمة فعلية في تغيير الثقافات بفضل الآليات المختلفة من تعليم و نشر للثقافة المادية و غير المادية ، و يتضح هذا من خلال التباين الرئيسي بين المجتمعات الرأسمالية و الاشتراكية ، و بين المجتمعات المتطورة الصناعية و المجتمعات الزراعية المتخلفة نتيجة مكانة العلم و المعرفة و الاستغلال الأمثل للموارد البشرية و توجيهها توجيهاً عقلانياً يتمشى و التطور الفكري و المعرفي و التكنولوجي (تأثير العلم على الثقافة).

التربية

تختلف مفاهيم الكلمات و المصطلحات من شخص لآخر ، و من مجتمع لآخر ، و من ثقافة وأخرى تبعاً لتفاوت الدلالات أو السمات الجوهرية التي تكون المفهوم الحقيقي لهذه المصطلحات في سياقها اللغوي أو الثقافي أو الاجتماعي أو الفني أو الفلسفي تبعاً لدرجة حضارة المجتمعات و صرامة ثقافتها و ما تحمله الكلمات من معان و دلالات في واقع السياق الاجتماعي .

1- مفهوم التربية لغة و اصطلاحاً :

أ- مفهوم كلمة التربية في اللغة :

إن كلمة التربية مشتقة من الفعل الماضي المجرد الثلاثي "ربا" و مضارعها " يربي" و تتضمن معنى النمو و الزيادة العينية ، قال تعالى " يحق الله الربا و يربي الصدقات " (البقرة 267)، أي يحق الله الربا الزيادة العينية في نماء الأموال و يزيد الله الصدقات .

و يمكن أن يكون اشتقاقها من الفعل الماضي " ربي" و مضارعه " يربي" و هي تحمل معنى تغذى و ترعرع و حتى تقبل هذه المعاني اللغوية في السياق الاجتماعي لكلمة التربية في الوقت الحاضر ينبغي أن تأخذ معاني التربية و الترعرع و الزيادة و الاصطلاح و التقويم في إطار نماء الإنسان المتصل بترعرع القوى الإدراكية و القوى الانفعالية الحركية ، لإصلاح شخصية الإنسان و تقويم سلوكه في الحياة الدنيا.¹

ب- المفهوم الاصطلاحي للتربية :

يقصد بالمعنى الاصطلاحي لكلمة التربية، المعنى الفني أو العلمي أو الفني الذي يفهم من هذه الكلمة في سياقها الاجتماعي الوظيفي داخل المجتمع.

فالتربية " عملية نقل المعارف والخبرات و المهارات و العادات من فرد إلى فرد و من جيل إلى جيل مع تحسينها و توسيعها " .

- ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، تفسير البيضاوي ج، الحلي، القاهرة،¹ ص5.

و أنها " وسيلة حسنة لضمان التكيف المطلوب بين الدوافع الداخلية و الظروف الخارجية " .

و أنها " عملية تنمية و ترقية لكل ما في المجتمع من مصادر و طاقات بشرية و موارد طبيعية " و أنها هي " الحياة " و أنها " صنع المواطن الصالح " و إنها " تكيف الإنسان نفسه لما يعلن عن الله في البيئة البشرية " و هي عملية تعليم و تدريب تجرى في مؤسسة مخصصة للتعليم و التعلم¹.

فالتربية ذلك الكل المتكامل من قيم و عادات و تقاليد لإعداد الفرد وفق منهاج المجتمع.

و بعد هذا العرض عن التربية ، فهل هناك تعريف شامل للتربية يمكن اعتماده ؟

نعم يمكن تعريف التربية بالصيغة الآتية : " التربية هي ضبط التعلم و توجيه نحو أهداف جيدة التحديد يمكن تحقيقها في حياة جماعة المتعلمين ، على أيدي هيئة مدربة معدة إعدادا علميا للتعليم و التنظيم و الإدارة المدرسية ، بواسطة منهج دراسي محكم التخطيط، و بمواد و وسائل مناسبة ، و أصول و فنون و أساليب و طرائق صحيحة ، في بيئة و أبنية و تسهيلات معدة خاصة لذلك " ².

و في هذا السياق فإننا نستخلص أن هناك تباين في مفهوم التربية ، داخل المجتمعات الإنسانية ، و يرجع ذلك إلى اختلاف الأوضاع الاجتماعية في هذه المجتمعات من حيث درجة حضارتها و فلسفتها و ارتباط ذلك كله بوظيفة النظام التربوي ، الذي يشكل أداة صياغة المجتمع في ضوء إمكاناته و تطلعاته ، لذلك فإن التربية تختلف من مجتمع إلى آخر .

إن التربية في المجتمعات النامية من حيث فلسفتها و أهدافها و وظائفها تختلف عما هي عليه في المجتمعات الصناعية المتقدمة ، بسبب التباين في نوعية الأدوار التي تقع على عاتق التربية كأداة للنهوض بهذه المجتمعات في سياق درجة أوضاعها الفكرية و الاجتماعية و الاقتصادية و التكنولوجية ، لذلك فإنه من الطبيعي أن تختلف التربية من مجتمع إلى آخر ، تبعاً لاختلاف أدوارها و وظائفها و أهدافها في المجتمعات الإنسانية ، وفي المقابل ، اختلاف هذه المجتمعات في درجة ثقافتها و أوضاعها الاجتماعية و الاقتصادية و تطلعاتها المستقبلية و هذا يعني أن اختلاف مفاهيم التربية في المجتمعات تعود إلى :

1- اختلاف درجة حضارة المجتمعات و ما يسود فيها من أوضاع ثقافية و اجتماعية و إنسانية.

- إبراهيم ناصر ، أسس التربية، ط2، دار عمان للنشر و التوزيع، عمان، 1989، ص 17.

- فيليب فنكس ، فلسفة التربية ، ترجمة محمد النجحي، دار النهضة المصرية، 1965، ص 37.

2- الكيان الاجتماعي و ما يسود فيه من نظم ثقافية و اجتماعية و اقتصادية و سياسية و دينية .

3- ما يحمله المجتمع من تطلعات و أهداف نحو التنمية الاجتماعية و الثقافية .

4- دور النظام التربوي و مسؤولياته في تحقيق أهداف المجتمع .

5- دور الأسرة في نقل الموروث الثقافي التربوي .

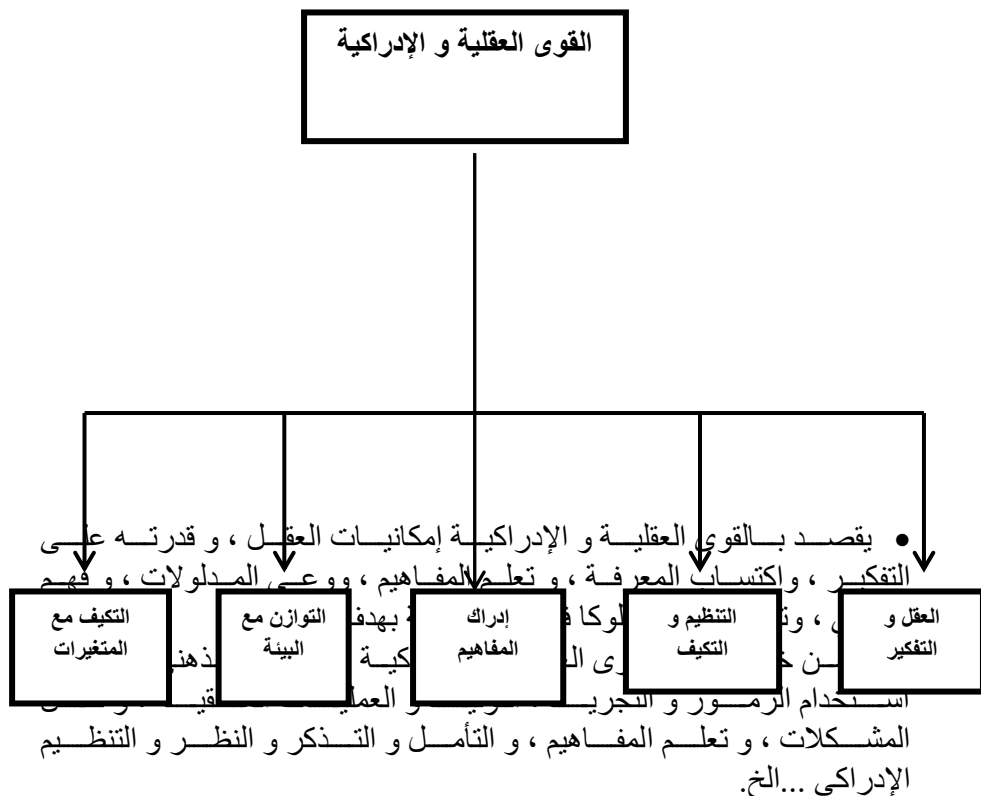
و على هذا الأساس فان لكل ثقافة مجتمع أطرها الخاصة في تشكيل سلوك أفرادها، كما أن الشخصية الإنسانية لا يمكن فهمها أو تحديد أبعادها إلا في إطار الثقافة التي تنشأ فيها و تتفاعل معها ، و هنا يظهر دور التربية في نقل عناصر الثقافة مع الاهتمام في هذا الاتجاه بعملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها جزء من الثقافة لأية جماعة من الجماعات و كذلك مدى امتثال الأشخاص و تكييفهم مع المتطلبات الثقافية للمجتمع ، اومدى صراعاتهم معها ، مع بيان تأثيرات التنشئة في الشخصية داخل المجتمعات.

حيث تشمل عملية التنشئة الاجتماعية على مجموعة من المدخلات او المكونات البنائية التي يكتسب الفرد من خلالها بعض خصائص شخصيته ، و التي منها القيم والرموز ، و الأخلاق و المعتقدات ، و المفاهيم ، و المعايير و الأعراف و العادات والمهارات التي يستعملها الإنسان في تعامله مع بيئته.¹

2 – التربية عملية إنماء و توجيه للفطرة الإنسانية :

إن فطرة الإنسان ، ظاهرة من ظواهر الوجود ، بل آية من آيات الله قابلة للتعلم ، بفضل ما استودع الله من هذه الفطرة من إمكانات عقلية و حيوية و نفسية و روحانية و جسمانية و اجتماعية و انفعالية ، و لكن ظاهرة تعلمها مسألة متروكة للتأمل الإنساني و البحث العلمي ، و فسرت نظريات التعلم الإدراكية أن تعلم الإنسان يقوم على آلية التبصر و التأمل و التنظيم وإدراك العلاقات و التفاعل مع الواقع ، و التمثيل و التوازن و معالجة المعلومات و غير ذلك من عمليات عقلية و إدراكية ، و أن من قدر الإنسان أن ينمو بالتعلم و لتمثل العلم و المعرفة و السلوك ، ما دام قادرا على اكتسابها بفضل الإمكانات العقلية و السمعية و البصرية و الحسية الأخرى ، إضافة إلى ما يتوصل إليه من منهجية و تقنيات ، فالإنسان فطرة قابلة للتعلم و النمو عن طريق المعرفة و عمليات التربية، و بيان ذلك فيما يلي :

- محمد عبده محجوب و آخرون ، التنشئة الاجتماعية ، دراسات انتربولوجية في الثقافة و الشخصية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2005، ص 37.

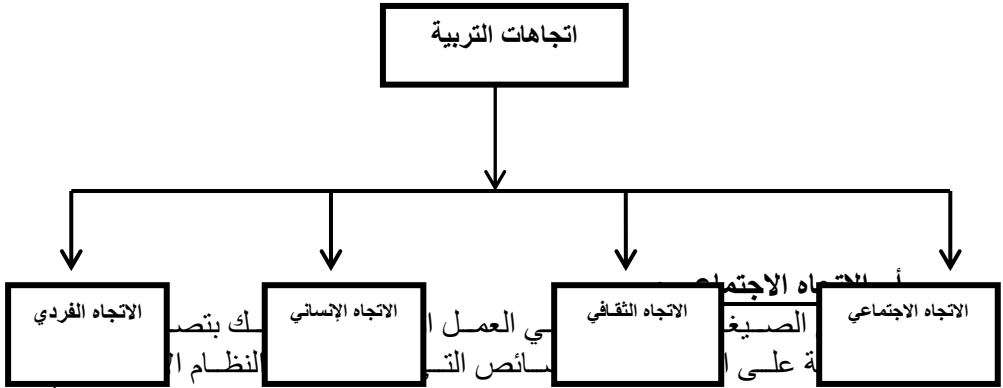


لا شك أن المضمون التربوي الذي يدرسه المتعلمون في مدارسهم يشكل نمطا ثقافيا معيناً اتجاه موضوعات الحياة ، و بما أن العلاقة عضوية بين الفلسفة الاجتماعية و الفلسفة الثقافية و التربوية و أهدافها ، فان ذلك يستدعي أن يتم اختيار المضمون التربوي باعتبارها خبرات تعليمية في سياق المضمون الثقافي ، الذي تطرحه الفلسفة الاجتماعية ،

- محمد محمود الخوالدة ، مقدمة في التربية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، عمان ¹ 2003 ، ص، ص 75،76.

لتفسير موضوعات الحياة المختلفة ، لتحقيق درجة من الائتلاف الثقافي ، بين ما تحمله الفلسفة ، و بين ما تحمله الأجيال من مفاهيم عن ظواهر الحياة و قضاياها الكبرى.

3. اتجاهات التربية في المجتمع:



تماسك المجتمع و المحافظة على كيانه و العمل على تطويره ، و أن عمليات التربية في هذا الاتجاه تسعى لمساعدة الفرد على التكيف مع الواقع الاجتماعي ، بهدف حماية الفرد عن طريق آليات التنشئة الاجتماعية .

ب. الاتجاه الثقافي :

تعمل التربية على جعل الأفراد يتمثلون النموذج الثقافي السائد في المجتمع بهدف إكسابهم الكفاية الاجتماعية داخل ثقافتهم عن طريق تعلمهم قيم الجماعة و نظام الحياة فيها و ممارستهم السلوك الثقافي المقبول ، لتمكينهم من التكيف بقناعة مع أساليب الحياة داخل المجتمع ووفق تطلعات الأنساق الاجتماعية المستمرة لهذه القيم و المبادئ المتفق عليها داخل النسق العام (المجتمع).

و لا شك أن الاتجاه الثقافي في التربية ، يمثل خطوة أولية ، في التحرك نحو الاتجاه الإنساني في التربية .

ج. الاتجاه الإنساني في التربية :

يتبنى هذا الاتجاه في التربية على أنها عملية إنماء إنساني ، فهي تركز على الخصائص الإنسانية في التعلم و المتمثلة في القوى العقلية و الإدراكية ، و القوى الوجدانية والأخلاقية ، و القوى النفسية و الروحية و الجسمية إضافة إلى المعرفة و الثقافة و التي تؤكد على ضرورة البعد الإنساني العالمي في التربية و تكامل إنمائها ثقافيا و أخلاقيا.

إن الاتجاه الإنساني في التربية ، يعزز الخصائص الإنسانية على مستوى الفرد والجماعة بالإعلاء من السمات العقلية و النفسية ، و

الروحية و الوجدانية و الأخلاقية ، فضلا عن نشر الثقافة بين الشعوب ، لغرض تكاملها في خدمة المجتمعات الإنسانية .

د. الاتجاه الفردي في التربية :

يقوم هذا الاتجاه على الإغلاء من مفهوم الطبيعة الحيوية (البيولوجية للإنسان) و مرونة الطبيعة البشرية ، و فطرة حريتها و إرادتها و قدرتها على التكامل ، فيما بين مكوناتها الذاتية نفسها ، و تبين إمكانات الطبيعة البشرية بين الأفراد ، و كذلك استعداداتها في الاستجابة للمثيرات التعليمية في البيئة.

حيث يركز هذا الاتجاه على إنماء شخصية الفرد بأبعادها العقلية و الانفعالية و الحركية ، دون أي اكتراث للاعتبارات الاجتماعية التي قد تتعارض مع هذا التوجه ، ان المجتمع المتطور ، هو حصيلة اجتماع أفراد ، عملت التربية على إنماء قدراتهم و خصائصهم الفردية داخل النظام الاجتماعي¹.

إن العناصر الثقافية ليست مسألة موروثية بيولوجيا بل هي عناصر يكتسبها الإنسان بالتعلم ، و حتى تتمكن الأجيال من تراكم ارثها الثقافي و نقله عبر الأجيال و ان جميع هذه الأنواع تتكامل في خدماتها للمجتمع من أجل إنمائه و تنميته عن طريق نشر التعليم و الثقافة بين أفراد المجتمع و نقلها بين الشعوب و تطوير منهجية التفكير بين الأفراد و المجتمعات و التوعية بالأدوار الاجتماعية و أهميتها للتنمية الشاملة ، و إعداد الطاقات البشرية اللازمة للتنمية و تدريب الأفراد على استخدام الآليات المعرفية و العلمية و الثقافية في حل المشاكل و التوازن بين متطلبات التنمية و معطيات الثقافة و التربية .

الثقافة و علاقتها بالتربية

العلاقة بين الثقافة و التربية في مجتمع ما علاقة وثيقة ، فالتربية عنصر هام من عناصر الثقافة ، و إذا كان "ويسلر" « Wissler » و غيره من العلماء لم يذكروها ضمن عناصر الثقافة إلا أن ذلك في الواقع لأنهم يرونها وظيفة تدخل في نطاق الوظائف التي تقوم بها عناصر أخرى من العناصر الثقافية ، فهي وظيفة من وظائف الأسرة ، و رجال الدين ، والحكومة ، و لما كانت التغيرات التي تحدث في عناصر الثقافة يؤثر بعضها في بعض كما ذكرنا ، فان تأثير عناصر الثقافة على التربية، و تأثير التربية على الثقافة أمر مؤكد.

و لعل ذلك الاتصال الوثيق بين الثقافة و التربية هو الذي حدا "بسادلر" « Sadler » بان يذكروا بأن لا ننسى في دراستنا للنظم التعليمية " أن هناك عوامل خارج المدرسة قد تكون أكثر أهمية مما يدور في داخلها ، و أن هذه العوامل تتحكم فيما يدور في المدرسة و تفسره" ، و هذا قول صحيح ، فكل نظام تعليمي ، بأهدافه،

- فؤاد أبو حطب و أمال صادق ، علم النفس التربوي ، الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1981 ، 1
ص،ص401-402.

و طلابه ، و ما يدرس لهم ، و كيف يدرس لهم ، بإدارته ووسائل الإشراف عليه، و معلميه ، يتأثر دائما بالعوامل السياسية ، و الاقتصادية ، و الاجتماعية ، و الدينية ، والفكرية ، و بكل القيم و الاتجاهات و المثل ، و بالأداب و الفنون السائدة في المجتمع الذي يقوم فيه ذلك النظام.

الهوامش:

1. وهيب إبراهيم سمعان ،الثقافة و التربية في العصور القديمة، دار المعارف بمصر ، 1961
2. نجيب اسكندر إبراهيم ، لويس كامل مليكه ، رشدي فام منصور : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي ، القاهرة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، 1976.
3. WHITE LESLIE A. k « CULTUROLOGICAL VS PSYCHOLOGICAL INTERPRÉTATION .OF HUMANN BEHAVIOR » AMERICAN SOCIOLOGICAL REVIEWk ; 12 .
4. احمد كمال احمد و آخرون ، الخدمة الاجتماعية في المجالات التعليمية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1965.
5. فاطمة مصطفى الحاروني، خدمة الفرد في محيط الخدمات الاجتماعية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1975.
6. دوني سزابو و آخرون " المراهق و المجتمع " دراسة مقارنة ، ترجمة الطاهر عيسى و الأزهر بوغومز ، ، الجزائر ، 1994
- 7.Newman , Horatio H , Multiple Human Birtbs (New York) , pp . 189 – 199 .
8. ناصر الدين البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، تفسير البيضاوي ج 1 ، الحلبي ، القاهرة
9. فيليب فنكس ، فلسفة التربية ، ترجمة محمد النجحي، دار النهضة المصرية ، 1965.
10. محمد عبده محبوب و آخرون ، التنشئة الاجتماعية ، دراسات انثربولوجية في الثقافة و الشخصية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2005.
11. محمد محمود الخوالدة ، مقدمة في التربية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، عمان ، 2003.
12. فؤاد أبو حطب و آمال صادق ، علم النفس التربوي ، الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1981.